الشيخ العلّامة المفسّر الحاج أحمد دم سوكون وحياته العلميّة

The Shaikh, Educator, and Interpreter: Ahmad Dam Sokon and His Scientific Life

الباحث/ **مام شيخ لوح**: طالب في مرحلة الدكتوراه، قسم القرآن الكريم وعلومه، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

الأستاذ الدكتور/ **يوسف محمد عبده العواضي**: رئيس قسم القرآن الكريم وعلومه، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا

Mame cheikh Lo: a doctoral student, Department of the Holy Quran and its sciences, Al-MAdinah International University, Malaysia.

Prof. Dr. Yousef Mohammed Abdo Mohammed Al-Awadhy: The Head of department of the Holy Quran and its sciences, Al-MAdinah International University, Malaysia.

Email: mameceikhlo@live.fr

الملخص:

هدف هذا البحث إلى التعريف بالعلامة أحمد دم سوكون وكتابه "ضياء النّيّرين"، وتسليط الضوء على حياته، تمثَّل السؤال الرئيسي للبحث في: من هو العلامة الشيخ أحمد دم سوكون؟ وكيف كانت حياته العلميّة؟ ولتحقيق هدف البحث فقد استخدم الباحث المنهج التاريخي. وتوصل البحث إلى مجموعة من الدروس المستفادة أهمها: 1- جلاء منزلة الشيّخ العلّامة أحمد دم سوكون- رحمه الله- العلميّة، وعلوّ كعبه في شتّى ميادين العلم، فكثرة رحلاته، وترددّه بين العلماء، ممّا أكسبه علماً قد بلغ فيه شأواً عظيماً. 2- ظهور آثاره الكثيرة التي خلّفها الشيخّ ممّا جعل الباحثين المعاصرين الآن يهتمّون بدراسته تراثه العلمي التّليد، ذات الإرتباط بالقرآن، والحديث وعلومه، والتّوحيد، واللّغة والأدب، وعلم الحساب. 3- يُضَمُّ إلى هذا سيرة الشيخ أحمد دم العلميّة وثقافته العالية؛ ذات الوجوه المتعدّدة التي أخرجت هذه الثّمار الوافرة، فكان حافظاً بارعاً، ومفسّراً جهبذاً، وفقيهاً عارفاً، متبحّراً بعلم الفلك والنّجوم والحساب، ولغويّاً متمكّناً من العربيّة.

الكلمات المفتاحية: الحاج أحمد دم سوكون، تفسير القرآن الكريم، علماء التفسير

Abstract:

This research aimed to identify the educator Ahmad Dam Sokon and his book “The light of Intellected", with highlighting his life. The main question of the research is: Who is the educator Shaikh Ahmad Dam Sokon? How was his scientific life? For achieving the goal of the research, the researcher used the historical method. As a result, he reached a set of beneficial lessons, the most important of which are: 1. The high scientific status of Shaikh Ahmad Dam Sokon, 2- The appearance in many aspects of knowledge, so his many trips and goings to scientifics gave him a knowledge that led him to a great matter. 2-Many impacts left behind him, which made contemporary researchers interested in the study of his scientific heritage; which are related to the Holy Quran, Hadith and its sciences, monotheism, Language, Literature, and mathematics. 3- Beside the previous points, the

scientific biography of Shaikh Ahmad Dam Sokon and his high culture, which conveys various faces that resulted in this good harvest, so he was a brilliant, educated interpreter, knowledgeable jurist, smart in astronomy, stars and Mathematics, and a skilled linguistic in Arabic.

Keywords: Hajj Ahmed Dam Sokon, interpretation of the Noble Qur'an, scholars of interpretation

المقدّمة:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرّسل بقايا من أهل العلم؛ علماءَ ورثوا الأنبياء، يحيون بكتاب الله –تعالى-الموتى، ويبصرون به أهل العمى، ويدلّون من ضلّ منهم إلى الهدى، وينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، والصلاة والسلام على نبي أشاع النور، وبدد الظلمة وقضى على الجهل، صلى اللّه عليه، وعلى آله وصحابته، ومن سار على نهجهم، واقتفى آثارهم، إلى يوم الدين وبعد:

فقد جعل الله سبحانه وتعالى كتابه هدىً يهدي به الناس من الظلمات إلى النور قال الله تعالى: (الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1)) [إبراهيم: 1]، وجعله فرقانا يفرق به بين الحق والباطل قال الله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1))[الفرقان: 1].

يتمثل السؤال الرئيسي للبحث في: من هو العلامة الشيخ أحمد دم سوكون؟ وكيف كانت حياته العلميّة؟

استخدم الباحث في بحثه المنهج التاريخي؛ وذلك للتعريف به، وللوقوف على أنواع من المعرفة عن الماضي الذي يشمل كل أنواع الوثائق من السيرة الذاتية والسجلات ومختلف أنواع النشاط القرآني والتفسيري للشيخ الحاج أحمد دم سوكون.

ويعرّف المنهج التاريخي بأنَّه "مجموعة الطرائق والتقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وإعادة بناء الماضي بكل وقائعة وزواياه، وكما كان عليه في زمانه ومكانه، وبجميع تفاعلات الحياة فيه" وهذه الطرائق قابلة دوما للتطور والتكامل، مع تطور جموع المعرفة الإنسانية وتكاملها ومنهج اكتسابها.

ويرجع سبب اختيار الباحث لهذا الموضوع إلى عدّة أمور، منها: تحقيقاً لرغبة الباحث في تعريف علماء القارة الأفريقية، كما أنَّ عدم شهرة العلّامة أحمد دم سوكون -رحمه الله- في أوساط العالم، أجبرت الباحث على أن يظهره للعالَم وللناس أجمعين حتّى يتعرّفوا عليه أكثر فأكثر، وفي هذا ردّ جميل إلى االعالم السنغالي، الذي يستحق الكثير والكثير من أبناء بلده. فهذه الأسباب وغيرها جعلت الباحثَ يعقد العزم على كتابة هذا البحث، سائلاً الله تعالى، التوفيق والسّداد والقبول، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

وتبرز أهمّيته في أنّه يعرّف بأحد علماء السنغال، ويُبرز حياته ومكانته العلميّة. ويأتي إسهاما للتعريف بعلماء القارة الأفريقية، وإضافة جديدة جداً للقارئ العربي الذي قلّ ما يعلم عنهم شيئاً، -عل وعسى- سيبعث في أوصاله روح الحياة، ويكشف اللثام على حقيقة هذا العالم وكنهه الذي يجهله كثير من الناس؛ لأنّ كثيراً منهم يسمعون عن خبره ولمّا يقفوا على مخبره، ولا بكشف عن مخبّآته.

ويأتي البحث في:

- المقدمة.
- أولاً: اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه.
- ثانياً: ولادته، ونشأته.
- ثالثاً: طلبه للعلم.
- رابعاً: شيوخه، وتلاميذه.
- خامسا: مصنفاته.
- سادسا: عقيدته ومذهبه الفقهي.
- سابعا: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.
- ثامنا: وفاته.

أولاً: تعريف بشخصية الشيخ (اسمه، نسبه، كنيته، ولقبه)

اسمه:

هو الشيخ الحاج أحمد بن الأمين بار دم، الإمام وخطيب الجامع الكبير في سوكون، المفسّر العالم العلّامة، صاحب المؤلّفات الكثيرة، والمتبحّر في كلّ العلوم والمعارف؛ من شرعيّة، ولغويّة، وفلكيّة، وكيميائيّة، وإنسانيّة وغيرها، العابد المتنسّك المجاهد الذي باع الفاني الخسيس بالباقي النّفيس، واستبدل الغاديات الفانيات بالباقيات الصّالحات، وبذل النّفس والنّفيس في سبيل الدّعوة إلى الله –

سبحانه وتعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة، والإرشاد والتّوجيه والتّربية، والتّدريس والتّأليف حتى أتاه اليقين[1].

كنيته ولقبه ونسبه:

هو أبو محمد الشيخ الحاج أحمد الأمين بار دم، المعروف بـــــ آمدو باري بن محمد بن أحمد امبك بن مَصمْبَّ أنت سليمان بن محمد الأمين دم الأكبر[2] بن مسري بن هلوار[3].

فوالده: الشيخ محمد الأمين بار دم –رحمه الله-حفظ كتاب الله العظيم، ثمّ شرع في طلب العلم كعادة الكُتّاب في بلده، حتّى انتهى إلى مختصر الخليل فصرفته ظروف الحياة ومصاريف الأهالي عن الدّراسة إلى الاشتغال بالتّجارة؛ ممّا أتاحت له الفرصة أن يصبح غنيّا من أكابر أغنياء زملائه، وكان رجلاً كريماً كثير الإنفاق، توفّي –رحمه الله- في قرية أنجوبين غلو، سنة 1895م ودفن بها بجانب روضة أمّه؛ السّيدة مامَّتِ سُرَنْجْ والدة الشيخ محمد الأمين بار دم.

وهذه السّيّدة كانت عابدة بارّة، فهي التي اشترت لابنه محمد الأمين المصحفَ الذي درس فيه من ثمن غزلها، وأرسلته إلى الكُتّاب.

وممّا خصّ الله هذا المصحف أنّه ما قرأ فيه أحد إلا وكان عالماً من علماء زمانه وحُفّاظه؛ فمنه قرأ الشيخ محمد الأمين بار دم، وقرأ منه الشيخ محمد دم في جُرْبِلْ صاحب الشيخ أحمد بمب خادم الرسول، وقرأ منه الشيخ الحاج إبراهيم دم في غُويْ سُوغْ صاحب الشيخ الحاج مالك سه، إلى أن قرأ به شيخنا العلامة أحمد دم سوكون رحمهم الله أجمعين[4].

(1) ينظر: ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 3-4).

(2) ينظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 16).

(3) وهو من اندمين هوصه، وهم من الشيخ عثمان فودي؛ أخ بلّ فودي، وعبد الله فودي؛ وهؤلاء الثّلاثة أبناء للشيخ موسى فودي الذي هاجر من (فُمّ هَارَ دِمْبُبِ)؛ من أرض فوت طور إلى هوس، وإليهم تنتمي أمّ أحمد شيخ بن المجاهد الكبير، شيخ عمر الفوتي –رحمهم الله أجمعين- وهم أي: (فُمّ هَارَ دِمْبُبِ) من بوب عبد الله دم، وهو من عقبة بن نافع القرشي الصحابي –رضي الله عنه- كما علم من نسب الفلاة، والله أعلم. انظر: ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 6-7).

(4) ينظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 8-9).

وأمّا أمّه: فهي السّيّدة البارّة آمنة جالو المشهورة بإنَّ مَوْدُو بنت حمّاد كاه وبنّا سيسي توري. وجدّه من أمّه هو حمّا نيبي؛ الشّهيرة بغزارة علمه[1].

وهذه السّيّدة كانت ثرية؛ ورثت من والدتها وأختها الشّقيقة مالاً كثيراً؛ من غنم وعبيد وحُلل وغيرها، كما ورثت من بعلها أيضاً محمد الأمين بار مثل ذلك، وكانت لها موقفاً جبّاراً محموداً، وعناية فائقة في تربية ابنها -شيخنا العلّامة الحاج أحمد دم- وتعليمه أحسن تربية وتعليم، ولله الحمد والشّكر فقد ظهرت عليه آثار (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (58))[الأعراف: ٥٨]. وهل ينبت الخطى إلّا وشيجة :: وتغرس إلّا في منابته النّخل.

فالسّيدة هذه هي التي بادرت بإرسال ابنها الشيخ إلى غُويْ سُوغْ عند عمّه محمد ياسين دم لدراسة القرآن، تنفيذاً لوصيّة والده محمد الأمين بار دم، ثمّ أرسلته ثانية إلى أرض فوت طور لدراسة العلوم الشّرعيّة وغيرها، ولم تتركه يغترب ويكون عالة على غيره؛ بل كانت تنفق الأموال الطّائلة الجزيلة في مقابل دراسته، وتشتري له في كل عام كلّ ما يحتاجه الشيخ من كتب وكسوة وغيرها ثم ترسلها إليه في الكُتّاب، وهكذا إلى أن توفّيت –رحمها الله- عام 1961م في سوكون، ودفن بها في غياب ابنها الحاج بو بكر جه الذي كان في أرض الحجاز حينئذ لأداء فريضة الحجّ[2].

وقبل أن نرفع القلم عن هذا المطلب نقول: بأنّ الشيخ أحمد دم ينتمي إلى أسرة فلّانيّة (تكرور) وهي أسرة معروفة ومشهورة بالفضل، بينها وبين أسرة -الشيخ الحاج مالك سي[3]، وعائلة الشيخ أحمد بمبا امباكي[4]، والشيخ عثمان دان فودي- دمُ القرابة[5].

(1) ينظر: **المصدر السابق نفسه**، (ص: 16)، و ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 9).

(2) ينظر: المصدر السابق: **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، (ص: 9).

(3) هو الشيخ الحاج مالك بن عثمان بن معاذ سي، من أعيان الطّريقة الأحمديّة التّيجانيّة في السنغال، ولد: عام (1274هـ، وتوفّي 1340هـ) كان عالماً فقيها وشاعراً. له مؤلّفات أكثر في مجالات شتّى، منها: ألفية خلاص الذّهب في سيرة خير العرب، وفاكهة الطّلّاب، وقنطرة المريد.

(4) هو العبد الخديم الشيخ أحمد بمبا بن محمد، مؤسّس الطّريقة المريديّة في السنغال، ولد: عام (1853م – وتوفّي 1927م) لُقّب بخادم الرّسول لشدّة حبّه للرسول –صلّى الله عليه وسلّم-، كان عالماً ورعاً وأديباً، له مؤلّفات كثيرة، منها: مسالك الجنان، ومقدّمات الأمداح في مزايا المفتاح، والمقدّمة الكبرى في الصّلاة على البشرى.

(5) ينظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 17)، نقلاً عن: صمب عامر، **الأدب السنغالي**، ج1 (ص:355).

ثانياً: ولادته، ونشأته.

ولادته:

على الرّغم من الخلاف الوارد في تاريخ ولادته: فإن الشيخ الحاج أحمد بار دم ولد -على القول الأصحّ- من أبوين سنغاليين شريفين ظهيرة يوم الإثنين، في أيّام البيض من شهر ربيع الأول سنة 1890 ميلاديّة الموافق: سنة 1307 هجريّة في قرية من قُرى أرض بكاو يقال لها: مَنْكَنوبَا، في إقليم "سيجو"[1].

وهذا القول هو الذي ترجّح لي، وأخذتُه من ثِقاة في بيت أسرة الشيخ مباشرة بمدينة "سوكون" بنين وحفدة، بعد رحلة تاريخيّة لي إلى تلك المدينة الفاضلة[2].

وقيل: ولد في سنة 1895 ميلاديّة، الموافق: سنة 1312 هجريّة في قرية "أَنْجُوبِي" في كسمانس[3]، مقاطعة "سيجو" إقليم كُولْدَا[4].

([1]) ينظر: ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 4)، **وجريدة الشّمس السنغالية**، عدد شهر أغسطس، يوم السّبت 23/ عام 2008م.

([2]) وكانت هذه الرحلة في بزوغ شمس يوم الإثنين 25 رجب 1440هـ الموافق 2019/04/01م، نزولا عند منزل الشيخ اتيارنو أحمد دم في مدينة "سوكون" وهو الإمام الرّاتب وأكبر أحفاد جدّه -الشيخ العلامة أحمد دم- حاليا، كما أنّه المسؤول الأول عن تراث جدّه، وقد تمّ إجراء المقابلة مع فضيلته ليوم يليه صبيحة الثلاثاء 26 رجب 1440هـ الموافق: 2019/04/02م عند تمام السّاعة 10h إلى 12h خلالها أفادني بالكثير فيما يتعلق بحياة جدّه العلّامة أحمد دم، وأهدى إليّ -وإلى من كان معي في السفر- بعضاً من مؤلّفات الشيخ، وأكثرها اهتماماً بالنسبة لي تلك الطبعة الأخيرة من تفسير "ضياء النّيّرين" لجدّه والذي نحن الآن بصدد الدراسة له في بحثنا هذا. كما ربطني بسميّ والده وأحد تلاميذه وهو الأستاذ محمد ماني خريج جامعة الأزهر من كلية التربية قسم اللغة العربيّة عام 2003م وهو صاحب كتاب: "الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم" والذي نرجع إليه كثيرا في بحثنا هذا فيما يتعلق بترجمة الشيخ من حيث التعريف به، وهو رجل خير محب للعلم، وكان ربيب الشيخ اتيارنوا ممدو دم والد المضيف؛ الخليفة الأولى لأسرة الشيخ أحمد دم (ت: 2014م) رحمه الله. هذا بالإضافة إلى إجراء مقابلة أخرى في اليوم نفسه، تلك تمت عند تمام الساعة: 14h إلى 13h 33 مع ابن الشيخ من صلبه وهو الشيخ اتيارنو عمر دم الخليفة الحالي لأسرة العلامة أحمد دم وأكبر أبنائه حاليا، ولد: سنة (1932م) وأهداني من مؤلّفات والده العلامة أحمد دم ما يربو على عشرة كتب حفظه الله ورعاه وجزاه عني خيراً.

([3]) إقليم يقع في جنوب السنغال على حدود دولة غينيا بيساو، معروف بكثرة اضطرابات وحروب أهليّة بين القبائل. انظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 16)

([4]) ينظر: د. صمب عامر: **الأدب السنغالي العربي**، الناشر: الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط: 1978م ج1 (ص: 355). أقول: إنّ "سيجو" فيما بعد أصبح إقليما قائماً بذاته في الآونة الأخيرة بعد أن كان مقاطعة في المقام الأوّل تابعة لإقليم "كولدا"، وعليه فلا تعارض يوجد في تحديد مكان ولادة الشيخ.

وهذا القول -وإن ورد- فقد جاد به بعض المترجمين له والمهتمّون بدراسة مؤلّفاته، ويبدو أنّ صاحب رسالة "أساليب البيان" جنح إلى هذا القول وذكر به أوّلا في الترتيب كما نصّ بذلك في رسالته بصريح العبارة "أن القول الأوّل أكثر القولين شيوعاً وانتشاراً عند العامّة والخاصّة والمهتمّين بحياة الشيخ وآثاره[1]".

ويقصد بالقول الأول هنا ما أوردتُه مؤخّراً من ثاني القولين وهو ميلاد الشيخ العلامة الحاج أحمد دم بعام 1895 ميلاديّة، الموافق: سنة 1312 هجريّة. وعذره أنّه لم يرجّح بل ألمح استناداً إلى ما لدى العوام من القول الأكثر انتشارا وشيوعاً في تاريخ ولادة الشيخ.

نشأته:

ولد الشيخ ونشأ في بيئة فلّاحيّة من أبوين سنغاليين فلّاحين، وكان أبوه راعياً.

وعاش الشيخ في طفولته حياة متقلّبة كثير التّردّد؛ ينتقل من هنا وهناك، انتقل مع والديه إلى "انجُوبِينْ غَالُو"، ومكث فيها فترة من الزّمن، إلى أن توفّي والده وكان عمره آنذاك خمس سنوات، وكانت أمّه قد اشترت مصحفاً –كما تقدّم- ممّا تكسته يدها من غزل القطن، وقد أوصى والده قبل وفاته بأن يرسل الابن إلى عمّه محمد ياسين دم، فبعثت الوالدة بولدها إلى عمّه المذكور ليقرأ عليه، ثمّ ذهب مع أمّه إلى دار "حمَّا نيبي" وفي تلك القرية أتاهما جدّه "تفسير حمَّا نيبي" فأخذه مع والدته ليعيشا معه.

ثمّ انتقل إلى "ساري" قرب "كِيرْ مَاجَبِيلْ"، ومكث فيها سنة ثمّ انتقل إلى "بانْ ولُورْ" في منطقة سين سالم، وفي هذه السنة توفّي جدّه المذكور، فعاد مع أمّه إلى "غاغي شريف" التي تبعد عن "فُونجُونْ" بـــ 27 كيلومتراً، وخلال هذه السنوات كلّها لم يلتحق الشيخ الحاج أحمد دم بالمدارس القرآنيّة، إلّا ما سبقت الإشارة إليه من شراء والدته له مصحفاً، وكذلك اشترى له والده قبل وفاته لوحاً ليتدرّب على مبادئ القراءة، ومن إرساله إلى عمّه محمد ياسين دم في "كاجُور" وبعد ما بلغ من العمر سبع سنوات بدأ تعلّم القرآن وهو في "كاجُور"، ومكث فيها حتى حفظ القرآن وعمره لم يتجاوز

(1) ينظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 16).

اثني عشر عاماً، ثمّ رجع إلى الأسرة في "غاغي شريف" وبعد ذلك رأى أن يتعلّم ويستزيد من العلوم والمعارف، فخرج وتوجّه تلقاء فوت طور[1].

ثالثاً: طلبه للعلم

كان أوّل خروجه من بيته لطلب العلم إلى قرية تسمىّ بـــ "كُودُوم" في ناحية "وَكَّانغُونَا" لقراءة القرآن على يد "تفسير ما صمب سل"، لكنّه ما لبث عنده حتّى أتى عمّه مور ياسين من "غُويسُوغ" سنة 1897م وحمله معه إليه تلبية لوصيّة والده محمد الأمين بار؛ وذلك لدراسة القرآن الكريم، ثمّ رجع بعدها إلى "غاغي شريف" حيث الأسرة سنة 1909م فوجد أنّ أخاه عَبْدُلْ جه قد بلغ السابعة من عمره، وهو سنّ الدّراسة، فلقّنه الشيخ القراءة لأوّل مرّة، فكان أوّل تلميذ له لقّنه بـــ: ب س م كعادة الكُتّاب.

أمّا أخوه بُوكَرْ جه فكانت له حينئذ تسع سنوات، وقد شرع في الدّراسة إلّا أنّه واصل دراسته على يد أخيه الحاج أحمد دم رحمهم الله أجمعين.

ثمّ جهّزت له الوالدة ولديها أحمد وبوبكر من جديد للسّفر إلى فوت طور سنة 1910م لطلب العلم بمرافقة رجل اسمه: بُوبَكَرْ بُنْغُو، ولمّا وصلوا أرض فوت طور شرع الشّيخ أحمد في دراسة العلوم، وواصل أخوه دراسته للقرآن الكريم، وقد حلّ الشيخ الحاج أحمد دم أوّلاً تلميذاً على يد الشيخ الفاهم إبراهيم آو في قرية "أُنْجَابِبِي" ودرس عنده رسالة أبي زيد، لكنّه لم يلبث أن توفّي شيخه – رحمه الله-، فانتقل إلى شقيقه محمد آو في قرية "وَالَلْدِي" يقول عنه الشيخ: "وكان آيةً من آيات الله في العلوم الشّرعيّة من تفسير وحديث وسيرة وفقه إلى هلمّ جرّاً، وكان إليه المرجَع في زمنه في التّفسير والميراث وحساب النّجوم، قال: فقرأت عليه أكثر هذه العلوم، وأجازني فيها".

ثمّ انتقل الشيخ من عنده إلى قرية "اِنْغِجِلُنْ" وتتلمذ على يد الشيخ أحمد يُرُو بَالْ، يقول عنه الشيخ: "كان إليه المرجع في زمنه في العلوم الأدبيّة، قال: فقرأت عليه المقامات الحريريّة، والهمزيّة للبوصيري، وهذا من غير ما كنت أختطف منه من المسألة بعد المسألة والرّسائل والنّوازل"[2].

ثمّ بعد أربع سنوات قضاها في "فوت طور" لطلب العلم، رجع إلى أسرته في "غاغي شريف" سنة 1913م ليواجه حياة لا راحة فيها؛ بدأها بزيارة عدد من العلماء والمشايخ وكبار الشّخصيّات

(1) ينظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 17-18)، نقلاً بواسطة عن، **جريدة الشمس السنغالية**، عدد شهر أغسطس، يوم السبت 23/ عام 2008م.

(2) ينظر: **المصدر السابق نفسه** نقلاً بواسطة عن **جريدة الشمس السنغالية**، عدد شهر أغسطس، يوم السبت 23/ عام 2008م.

الدّينيّة كلّها، والسّلام عليهم، وممّن زارهم -في هذا الأثناء- الشيخ الحاج مالك سه، والشيخ الحاج عبد الله انياس[1]، والشيخ مختار توري[2]، والشيخ أحمد بمبا رحمهم الله أجمعين[3].

وبعد أن أمضى الشيخُ العلّامة أحمد دم فترةً في "غاغي شريف" رأى ضرورة التّنقّل منها إلى مدينة "بأمبوغار"[4]، فانتقل إليها واستقرّ فيها يعلّم القرآن الكريم، ويحترف الزّراعة إلى أن رأى رؤيا تحدّد له له ولأسرته مكان الإقامة وهي مدينة "سوكون" فانتقل إليها بعد مضّي سنتين له في "بأمبورغار"، وكان ذلك عام 1907 ميلاديّة. وجد فيها رجالاً يمكن نعتبرهم ونعدّهم كمضيفين له ومرحّبين، أمثال: بَرَامْ إبراهيم جوف، وإبراهيم بجان، والحاج عبد الرحمن سه، وسرج صالح جاه، وكولي سنغور، ومامان اتيام كُومْبَا، وسليمان انياس، وعيسى جنغ، وعلي في، ومور اتيام... إلخ[5].

والشيخ العلّامة أحمد دم في كتابه تفسير "ضياء النّيّرين" ذكر بنفسه قصّة تعلّمه من البداية وإلى النّهاية، فقال بنصّها: أما القرآن العزيز فقد قرأتُه على عمّنا الذي اشتهر بالحفظ لكتاب الله الكريم وبالتدين والعبادة، الشيخ محمد بن أحمد الشهير بمحمد يس ديم وأتممته قراءة وتجويدا على يد الشيخ عبد الله بن اَلفاهم سمب الفوت الطوري وقرأت منه شيئا من اللّغة العربية، ثمّ ارتحلت إلى أرض فوت طور واجتمعت بعلمائها وتربّيت بين يدي حكمائها، فأوّل من حللت ساحته منهم العالم العامل إمام أهل بلده في ذلك الحين الفاهم إبراهيم آو بن الفاهم أحمد في قريته فقرأت عليه رسالة ابن أبى زيد القيرواني، ثمّ توجّهت إلى ابن عمّه وشيخه الذي اشتهر بين الخاص والعام، ومن كانت تأتيه الأسئلة من كلّ النواحي ويجيب عنها مسألة مسألة، الشيخ اَلفاهم أحمد الشهير بألفا الصغير في قرية "واللده"، فقرأت عليه مختصر الشيخ خليل، وكان آية من آيات الله في فهم هذا المختصر حتى إنه

(1) هو محمد ابن عبد الله انياس الكولخي، من أكابر أعلام الطّريقة التّيجانيّة بالسنغال، ولد: (عام 1297هـ وتوفّي 1329هـ) بمدينة كولخ، كان من العلماء الأفذاذ، وله مؤلّفات كثيرة منها: المواهب الإلهيّة في الغزوات النّبويّة، ومرآة الصّفا في سيرة النّبيّ المصطفى. انظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 19).

(2) هو علم من أعلام السنغال المشهورين، انظر: **المصدر السابق نفسه**.

(3) ينظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 19)، في إجراء مقابلة له مع أبرز تلاميذ الشيخ وهو صالح جاو.

(4) وهي مدينة تبعد عن مدينة "سوكون" مقرّ الشيخ بـــــ 5كم.

(5) ينظر بتصرّف: **جريدة الشمس السنغالية**، عدد شهر أغسطس، يوم السبت 23/ عام 2008م، نقلاً بواسطة عن دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 19-20). قال صاحبه: والأشخاص المذكورون كلّهم كانوا قد سكنوا "سوكون" قبل مجيء الشيخ أحمد دم، فلمّا وصل إلى "سوكون" استضافه هؤلاء فأخلصوا له الصّحبة. والجدير بالذّكر أنّ عبد الرحمن سه كان صديقاً حميماً للشيخ حتّى سمّى ولده به، وأصل عبد الرحمن هذا من قرية الباحث وهي جاورا، وله صلة قرابة معه.

كان يدرّسه رأساً ومتناً -بلا نظر شرح ولا مطالعة تقرير- من أوّله إلى آخره، فقد اتفق علماؤهم على أنّه لم يوفق أحد من معاصريه لهذه الخصلة في هذا المختصر غيره وكان إليه المرجع في علم الميراث والتفسير وعلم حساب النجوم وعلم التاريخ والسيرة، ومنه تعلّمت هذه العلوم المذكورة، وشيئاً من كتب المديح واللغة، ومنه أخذت الإجازة في تفسير القرآن والتدريس -رضي الله تعالى عنه وعنا به. ثمّ رجعت إلى مدينة "جابيه" ثانياً، فاجتمعت بالفقيه الزّاهد الورع الشيخ محمد يون فقرأت عليه تحفة الأحكام واستمعت منه ما قرأته من مختصر الخليل بن إسحاق -رضي الله تعالى عنه-، ثمّ ارتحلت إلى العالم الكبير والأديب الشهير الشيخ أحمد مختار ديوب بال في قرية "انجكلن" فقرأت عليه مقامات الحريري والهمزية للبوصيري وغيرهما من كتب الأدب والمديح، وفي ضمن هذه المجالس كنت أقتطف من ثمار كلّ من لقيته من الطلبة وأستسقى الطلّ والوبل وأتطفل من المبتدي والمنتهي إلى أن قدر الله رجوعي إلى أهلي ومسقط رأسي في بلاد سالم، فاكتفيت بما اختطفته من أفواه العلماء وبما تعودته من موارد الحكماء"[1].

هكذا عاش الشيخ في حياة علميّة مفعمة بالحيويّة والنّشاط منذ طفولته وإلى أن يلحق إلى الرّفيق الأعلى –رحمه الله- فكان كثير التّردّد من مكان إلى مكان، ومن شيخ إلى شيخ؛ الأمر الذي جعله متضلّعاً في معارف وفنون شتّى، مع قيامه بمواجهة الحياة بعد الرجوع من "فوت طور" إلى أن استقرّ في "سوكون" فواصل في ممارسة الأنشطة التي كان يقدّم بها قبل ذلك، وهي تعليم القرآن والزّراعة، فقد ذهب يوماً إلى أمّه ليستشيرها في العودة إلى طلب ما يسمّى بـــ "المتمّات"[2].

وشاء الله بعد ذلك أن رأى رؤيا في ليلة من الليالي، وفي الصّباح ذهب إلى أمّه وقصّ عليها القصص، فقال لها: "يا أمّي! الذي كنّا نريد أن نبحث عنه فقد أعطاه الله لنا هذه اللّيلة، فجلس، وبدأ يدرس ويعلم تلك الفنون التي كان يريد أن يذهب ليتعلّمها"[3].

وإلى نحو ذلك يشير الشيخ العلّامة أحمد دم في تفسيره حيث يقول: "ولم أك في مدة اشتغالي بما ذكر من العلوم ملتفتا إلى علم النحو والبلاغة إلا ما كنت أختطفه من أفواه الطلبة في بعض الأحيان عندما يقرءون دروسهم ويسردون إعرابها، فعلمت من محاوراتهم انقسام الكلام إلى اسم وفعل وحرف

(1) انظر: دم أحمد بار، **ضياء النّيّرين الجامع بين علوم الطّائفتين**، النّاشر: مركز الدّولي للدعوة الإسلامية-ديربان- جنوب أفريقيا، عام 2019م ط2، ج10، (ص: 189-191) من تفسيره لسورة طه.

(2) يقصد بـــ "المتمات" النحو والصّرف، والعروض، والبيان، والمنطق، حتى يجمع بتعلّمها بين العلوم الدينية التي سبق أن تعلّمها وبين العلوم اللغوية. انظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 21) حاشية2.

(3) انظر: **المصدر السابق نفسه**.

وعلامات كلّ واحد منها وعلامات الإعراب ومرفوعات الأسماء والأفعال كالمبتدأ والخبر وأحكامهما ونواسخ الابتداء إلى ما هنالك ومنصوبات الأفعال و الأسماء كذلك ومجرورات الأسماء وكذلك التصريف وعلوم البلاغة الثلاثة، ولما رجعت إلى الوطن اشتغلت بمطالعة الشروح التي قرأت متونها فازددت من تقريرات المسائل وإعرابها علما بموارد هذه العلوم ومصادرها، فشرعت في مطالعة كتب النحو مبتدئا بملحة الإعراب وشروحها، ولما أتممتها لم أجد فيها مسألة واحدة لم أفهمها، ثمّ اختصرت الملحة وشرحتها فسميته تمرين الطلاب في فهم ملحة الإعراب، ولله الحمد ثمّ طالعت الكفراوي على الأجرومية وحواشيه ولم أجد فيها مسألة واحدة أشكلت علي -فلله الحمد-، ثمّ طالعت ألفية ابن مالك بواسطة شرح المكودي وشرح الشرنوبي والقباب على الأشموني وألفية بن بون وتقريراته عليهما، ففتح الله عليّ في هذا الفن فتحا ظاهرا حتى كأنّي قرأته من أربابه فصرت أدرسه ويفتح على طلبتي فيه، وهكذا علم التصريف فطالعت مقدماته أولا ثمّ لامية الأفعال ثمّ اشتغلت بعلم البلاغة فطالعت أولا متن التلخيص وشروحه ومتن ألفية السيوطي المسمى بعقود الجمان وشرح المؤلف عليه والجوهر المكنون للعلامة الأخضري وشرحه عليه، ففتح الله علي في هذه الفنون الثلاثة أيضا حتى صرت أدرسها للطلبة، ثمّ رجعت إلى علم الأصول فاشتغلت بمطالعة متن الورقات وشروحه والمحلى على جمع الجوامع ونشر البنود على مراقي الصعود وحولوا علي جمع الجوامع ففتح الله تعالى علينا فيه -وله الحمد- وهنالك من الفنون ما لم نذكره وقد فتح الله علينا فيها، وفيما ذكرناه كفاية والحمد لله ربّ العالمين[1].

رابعاً: شيوخه وتلاميذه

شيوخه:

كان أوّل شيخ له في القرآن الكريم هو الشيخ تفسير ما صّمب سالْ كما مرّ الحديث عنه آنفاً قبل هذا المطلب عند ذكر خروجه لطلب العلم، ثمّ من بعده عمّه محمد ياسين دم، فشيخه ألفاهم إبراهيم آو، وبعده شقيقه محمد آو، وأخيراً جرن أحمد يُرُو بال رحمهم الله أكتعين[2].

وممّن تعلّم على يديه الشيخ مَمَدُو ويقال له: آمد آن، وكذلك الشيخ جامِّي بابا في قرية "سين لون" والذي كان الشيخ أحمد دم حظي عنده بكرامة عظيمة واحترام شديد، وتقدير فائق، فقد كان

(1) انظر: دم أحمد بار، **ضياء النّيّرين الجامع بين علوم الطّائفتين**، النّاشر: مركز الدّولي للدعوة الإسلامية-ديربان- جنوب أفريقيا، عام 2019م ط2، ج10، (ص: 189-191) من تفسيره لسورة طه.

(2) ينظر: ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 14) بتصرّف.

الناس يختلفون في مسائل علميّة، فإذا أتوا إلى الحاج أحمد دم ليفصل بينهم، قضى وحكم بينهم بما هو الصّواب، ما جعلهم ينتبهون له، وكانوا يقولون: انتبهوا من هذا الرّجل المنتمي إلى البادية فإنّ الله قد وضع فيه شيئاً، يعنون بذلك الشيخ أحمد دم فلقّب بأحمد البدويّ نسبة إلى البادية[1].

هذا ومن الأمر اللّافت وينتبه له، أنّ من تتبّع سيرة الشيخ الدّراسيّة يجد أنّه لم يتلقّ النّحو ولا البلاغة والصّرف ونحوها عن شيخ قط، مع أنّه –رحمه الله- نبغ في هذه العلوم وأتقنها إتقاناً يعجز الوصف، وأنّى له هذه وتلك؟

وللإجابة عن هذا التّساؤل نرجع إلى الشيخ نفسه يحدّثنا عن ذلك؛ حيث ذكر –رحمه الله- في تفسيره "ضياء النّيّرين" عند تفسير قوله تعالى في سورة طه (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114))[طه: ١١٤] –أسماءَ شيوخه الذين أخذ عنهم، بعد سرد قول العلماء: "والحكمة في تلقي رسول الله عن جبريل ظاهرا أنه يكون سنة متبعة لأمته فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشايخ ولا يفلح من أخذ العلم أو القرآن من السطور، بل التلقي له سر آخر اهـ كما قيل:

إذا رمت العلوم بغير شيخ :: ضللت عن الصرط المستقيم

وتلتبس الأمور عليك حتى :: تصير أضل من تومي الحكيم

قال جامعه عفا الله تعالى عنه: يكفي في سنة الأخذ عن المشايخ أدنى سماع منهم بعض مسائل السنن، أو الكتاب في حق بعض الطلبة الذين خصهم الله تعالى بنوع من الذكاء والحفظ حتى كادت الاشارة تغنيهم عن البيان، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: (كَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35))[النور: ٣٥] قال الإمام العلامة اليوسي صاحب الدالية المشهورة في بعض رسائله: كانت قراءتي كلها أو جلها فتحا ربانيا ورزقت -ولله الحمد- قريحة وقادة فكنت بأدنى سماع ينفعني الله، فقد أسمع بعض الكتاب فيفتح الله علي جميعه فتحا ظاهرا، وأبلغ فيه ما لم يبلغ من سمعته منه، ورب كتاب لم أسمعه أصلا غير أن سماع البعض في كلّ فن صار مبدأ للفتح وتتميما لحكمة الله في سنة الأخذ عن المشايخ، ولا تستوحش مما ذكرناه ظنا منك أن الربح أبدا يكون على قدر رأس المال، كلا فقد يبلغ الدرهم

(1) ينظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 19) بتصرّف. ذكرها في صدد مقابلة أجراها مع الشيخ صالح جاو أبرز تلاميذ الشيخ رحمه الله.

الواحد ألف مثقال وما ذلك على الله بعزيز. إلى آخر كلامه كما في الاستقصاء في ذكر علماء الغرب الأقصى، ويحكى عن بعضهم أنه شرع في قراءة ألفية ابن مالك إلى قوله:

بالجر والتنوين والندا وال ومسند للاسم تمييز حصل

فقال لشيخه: جزاك الله عنا خيرا فقد حصل لي التمييز بين جميع مسائل الكتاب من أوله إلى آخره من هذه العبارة ثمّ رجع إلى أهلها اهـ. وقد بلغنا عن الثقاة أن شيخنا ومولانا أحمد التيجاني رضي الله تعالى عنه أنه ما قرأ في بداية أمره من علم الفقه إلا مختصر الأخضري ومختصر الشيخ خليل إلى باب أهل القضاء ثمّ إنّه بعد ذلك بلغ في العلوم العقلية والنقلية إلى ما بلغ كما قال في المنية:

وبعد ذا اشتغل بالعلوم فجعل الغامض كالمفهوم

وحاز في صغر قصب السبق فيها وقطره على ذلك الفن

أفتى ودرس وذاك على صغر سنه نعم ونازلا

ثمّ ارتقت همته العلية إلى اتباع السادة الصوفية

فجال في طلب أهل الله عادة كلّ عابد أواه

وعمره إحدى وعشرون سنة لله در أمه ما أحسنه

فإذا رأيت هذا وعلمت أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[1]".

تلاميذه:

فبما أنّ الشيخ –رحمه الله- خصّه الله بفضله وهو يترجم سبع لغات، ويفسّر القرآن الكريم في خمسة منها، إلى جانب ما حواه من العلوم المكتسبة والدّينية، وما وهبه الله من الفصاحة والطّلاق والبيداغوجية، فلا غرو ولا عجب أن يأتيه التّلاميذ من كلّ فجّ عميق، ومن كلّ حدب وصوب بمختلف الأجناس والأعمار؛ ليشهدوا منافع لهم، ويرتعوا من رياضه الوارفة المغدقة، فتخرّج من مدرسته كوكبة من العلماء الأجلّاء، ملئوا الأرض نوراً وضياءً أمثال: تفسير عرفا سار من جنوار، والشيخ إبراهيم كنت من سيفو غامبيا، وشريف يونس حيضري من بغير كانزمانس، والإمام باتو ماني من كاتنغ غامبيا، وألفا عبد الله باه من دَغَجِير، وغيرهم. وإلى جانب هؤلاء إخوته وأبنائه وجيرانه الذين

(1) انظر: دم أحمد بار، **ضياء النّيّرين الجامع بين علوم الطّائفتين**، النّاشر: مركز الدّولي للدعوة الإسلامية-ديربان- جنوب أفريقيا، عام 2019م ط2، ج10، (ص: 188-189).

تتلمذوا على يديه كابن الشيخ عمر جالو أخ لــ جُرنَ بابا جالو فجزاهم ربّ الأنام عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء[1].

هذا ومن المعلوم أنّ كلّ عالم لا يسلم من أعداء وحسّاد وخصوم، فقد وجد للشيخ أحمد دم أعداء وحسّاد، فمن قائل منهم له: يا أحمد بار دم إنّنا سمعنا بأنّك أصبحت تدّرس مادّة كذا ومادّة كذا!! مع العلم بأنّك لم تتعلّم تلك المواد فاذهب وتعلّم أوّلاً قبل أن تدرس، فقال لهم: الله فعّال لما يريد[2]، فأشار إلى ذلك بقوله:

حسدو الفتى إذ لم ينالوا سعيه :: فالكلّ أعداء له وخصوم[3].

ولما بلغ الشيخ من العمر واحداً وثلاثين منّ الله عليه بأداء فريضة الحجّ، وزيارة الحرمين الشّريفين والوقوف في الرّوضة الشّريفة، والتّسليم على الحبيب المصطفى محمد –صلّى الله عليه وسلّم- فاستعدّ لهذه الرّحلة المباركة، وجمع أهله وأقاربه وأصدقائه وأعلن عن سفره وودّعهم جميعاً قائلاً لهم: إن شاء الله –تعالى- سأسافر إلى الحجّ غداً الإثنين، الخامس عشر من شعبان[4]، وكان ذلك في عام 1341- 1342هجريّة الموافق: 1922-1923 ميلاديّة.

وفي أثناء هذه الرّحلة الميمونة انتهز الفرصة فدرس الفقه المالكي في بغداد وسار إلى عكة بفلسطين.

ولما عاد الشيخ من رحلته تلك إلى أفريقيا وواصل عمله في حرفة الزّراعة، واشتغل كذلك بالتّعليم والبحث والتّأليف والتّربية؛ الأمر الذي جعل التّلاميذ يفدون إليه ويقصدونه بأعداد هائلة، وكان مثالاً في الاهتمام بالتّلاميذ، والقيام بشؤونهم، والرّحمة بهم، حتّى أثّر عنه قولته المشهورة وهي: "إذا وجدت تلاميذ فاهتم بهم، وقم بما يجب لهم؛ لأنّ التّلميذ يقدر أن يقول يوماً: اليوم سأجد شيخاً ومعلّماً،

(1) ينظر: ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 20) بتصرّف.

(2) ينظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 19). إفادة من الشيخ صالح جاو أبرز تلاميذ الشيخ رحمه الله. في صدد مقابلة أجراها دكري فودي معه.

(3) ينظر: د. صمب عامر: **الأدب السنغالي العربي**، الناشر: الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط: 1978م ج1 (ص: 367).

(4) ينظر: دم، أحمد بار، **عنوان الطّراز في الرّحلة إلى أرض الحجاز**، الناشر: ..... (ص: 3)، و دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 23).

ولا يمكن للشيخ أن يقول يوماً: اليوم سأجد تلميذاً، إذن من وجد تلميذاً فليحرص عليه كلّ الحرص، وليهتم به كلّ الاهتمام[1].

ومن صور اهتمام الشيخ بتلاميذه: أنّه كان يختار من بينهم من يرعاهم، ويذهب إليهم بنفسه راكباً فرسه، وذلك في فصل الخريف؛ ليتفقّدهم، وفي عام 1947م أسّس قريته الخاصّة التي تحمل اسمه "مدينة الحاج أحمد دم[2]" ثمّ أسّس بعدها قرية أخرى[3]؛ وذلك لكثرة تلاميذه واحتياجهم إلى مساحات واسعة تكفيهم للزّراعة.

ونجد التّلاميذ قد انتظموا فيما بينهم، وحصلوا على مزارع وحقول تغنيهم، ومنعوا الشيخ من العمل في هذه المزارع بنفسه، وكانوا يحصلون على منتجات ومحصولات زراعيّة كبيرة، يوزّعها الشيخ كلّها على المحتاجين والفقراء، وينفق على أسرته وأهله ما يحصل عليه من منتجات ومحصولات حقوله الشّخصيّة.

ومن رحمته بتلاميذه، وعطفه عليهم: أنّه طلب منهم أن يضعوا حدّا لهذه الحقول، لما يحمل من الهمّ على هؤلاء التّلاميذ، لقيامهم بهذه الأعمال الشّاقّة في الحقول المشتركة، غير أنّهم لم يستجيبوا لطلب الشيخ ولم يوافقوا عليه، وعلى الرّغم من مواجهة الشيخ الحياة، وقيامه بالنّشاطات العديدة، من بينها ممارسة الزّراعة بصورة تلفت النّظر، فقد كان يقضي كلّ وقته في تعليم القرآن وتطبيق الشّريعة، فقسّم يومه إلى فترتين: فترة صباحيّة في تعليم القرآن وشرحه، وفترة مسائيّة في تعليم القرآن قراءةً وتجويداً[4].

(1) ينظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 24) إفادة في مقابلة أجراها مع الشيخ صالح جاو أبرز تلاميذ الشيخ رحمه الله.

(2) وهي تبعد عن مدينته الأمّ "سوكون" بـــ 7كم.

(3) وهي قرية "أنْدَمِينْ".

(4) ينظر: **جريدة الشمس السنغالية**، عدد شهر أغسطس، يوم السبت 23/ عام 2008م، نقلاً بواسطة عن دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 24-25).

خامساً: مصنفاته

لقد ألّف الشيخ العلّامة أحمد دم مجموعة من الكتب[1]، في شتّى العلوم، طبع بعضها، وبعضها لم تزل على قيد المخطوطة؛ ولذا ترك للأمّة الاسلاميّة عامّة، وللمجتمع السّنغالي بصفة خاصّة تراثاً علميّا، ومكتبة شاملة، ما زال المسلمون ولن يزالوا يستفيدون منها وينهلون من معينها.

فألّف في التّفسير:

1- كتابَ: ضياء النّيّرين الجامع بين علوم الطّائفتين، في تفسير الكتاب المبين[2].

وفي الحديث:

2- كتابَ: العقد الثّمين في حديث الصّادق الأمين[3].

وفي التّوحيد:

3- كتابَ: إفادة المستفيد في عقائد التّوحيد[4].

4- وكتاب: تنبيه الأغبياء على استحالة رؤية الباري تعالى بالأبصار في الدّنيا شرعاً لغير خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وعلى آله الأصفياء[5].

وفي اللّغة:

5- كتابَ: قصيدة في غريب اللّغة العربيّة[6].

([1]) ينظر في هذا المطلب بتصرّف: ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 24-25)، و دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 25-26).

([2]) وهو مطبوع، يقع في عشرين مجلّداً.

([3]) مطبوع، جمع فيه الشيخ بعضاً من أحاديث المصطفى من كتب المحدّثين، مثل كتاب: كنوز الحقائق، والمأخوذ من الجامع الصّغير، وكتاب: مصباح الظّلام شرح نيل المرام؛ ليستغني بها الطّلبة عن المطوّلات، ويستعين بها في بعض المواقف.

([4]) وهو أرجوزة عقد فيها عقيدة الباجوري.

([5]) مطبوع، وهو عبارة عن رسالة كتبها ووجّهها إلى جميع المعاصرين من أبناء جنسه من المسلمين نصيحةً لهم وعملاً بـــ "الدّينُ النّصيحة"؛ وذلك بعد ما ظهرت طائفة من إخوانه التّيجانيّين بالتّحدّث عن رؤية الله، فيقولون: فلان يرى الله –سبحانه وتعالى، وفلان يقدر الآن أن يريك المولى –جلّ وعلا-، ووو،،، فبيّن فيه الشيخ أنّ من أحال رؤيته –تعالى- بالأبصار مطلقاً كالمعتزلة فقد فرّط، ومن أجازها في الدّنيا شرعاً حتّى لغيره –صلّى الله عليه وسلّم- فقد أفرط، ومن أجاز وقوعها رأساً ثمّ أثبتها له خاصّة في الدّنيا، وله وللمؤمنين عامّة في الجنّة فقد توسّط وهدي إلى صراط مستقيم؛ مدعّماً موقفه بالكتاب والسّنّة، ومن كلام الأئمّة المحقّقين.

(6) مطبوع.

وفي النّحو:

6- كتابَ: تمرين الطّلّاب على فهم ملحة الإعراب[1].

وفي الأدب:

7- كتابَ: الرّوضة النّديّة على المقصورة الدّريديّة[2].

8- وكتاب: عنوان الطّراز في الرّحلة إلى الحجاز[3].

وفي الشّعر:

9- ديوان الشّعر.

وفي الخطابة:

10- ديوانَ الخطيب[4].

وفي الحساب:

11- كتابَ: كاشفة الحجاب في علم الحساب[5].

وفي الأخلاق والوعظ:

12- كتابَ: جلاء القلوب من فتح العلّام الغيوب[6].

13- رسالة في الحثّ على الاتّفاق وترك المراء والشّقاق في الإمامة والمساجد على الإطلاق.

(1) أو "فاكهة الطّلّاب في معرفة ملحة الإعراب" وهو كتاب مطبوع. وقد أفاد أحد تلاميذ الشيخ بصريح العبارة "أنّ الشيخ لما فرغ من تأليف هذا الكتاب أرسله إلى الشيخ الكبير الحاج مالك سه لينظر فيه، وبعد النّظر فيه قال: إنّ الذين درسوا هذه المواد وأتمّوا دراستهم لا يقدرون على أن يتجاوزوا ما وصلت إليه، ولا يأتون إلّا بما أتيت به". انظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 22).

(2) وهو شرح لطيف سهل المأخذ.

(3) وهو عبارة عن رسالة ضمنت ترتيب سفره المبارك إلى حجّ بيت الله الحرام، وزيارة نبيّه –عليه الصّلاة والسّلام-، انطلاقاً من يوم خروجه من بيته، إلى يوم رجوعه إليه، مسجلاً فيه كلّ الحوادث والمشكلات التي تعرّض لها في الطّريق، وما صاحبها من خير وبركة، تعليماً لمن أراد السّفر إلى تلك البلاد، وتدريباً له على نيل المراد.

(4) وهي خطب كان يخطب بها في المجامع والجوامع، وفي الأعياد، والجمع الاستسقاء، والكسوف، والمواليد، ممّا صنّفه بنفسه.

(5) مطبوع، وهو أرجوزة في علم النّجوم.

(6) وهو أرجوزة في نوادر العلوم، تناول فيه الشيخ كثيراً من الأخلاق والعلوم الإنسانيّة.

وفي الصّوفيّة:

14- كتابَ: إيقاظ الوسنان على آفة اللّسان[1].

15- نصيحة الإخوان وتحذير الخلّان من طعن بادئ الرّأي على أولياء الرّحمن.

16- تنفيس الصّالحين من وشاوش الطّالحين[2].

بالإضافة إلى:

17- أسئلة وأجوبة تلقّاها من الشيخ الحاج مالك سه رحمه الله تعالى[3].

18- تسطير حسن لقصيدة ابن مرزوق.

19- مختصر تاريخ في شأن الشيخ عمر الفوتي رحمه الله.

20- رسائل متفرّقة من حكم ومواعظ وفتاوى، ممّا يتعلّق بالشّريعة.

21- الردّ على رسالة الحاج أحمد جاج دائرة.

هذا ما وقفتُ عليه من مؤلّفات الشيخ، وجلّها -ولله الحمد- بحوزتي الآن في مكتبتي، حصلت عليها بعد رحلتي العلميّة التّاريخيّة إلى مدينة سوكون حيث كان الشيخ يسكن.

إلى آخر ما هنالك من الإنتاج الهائل الذي يصعب الوصول إلى أكثره مع الاعتراف بأنّ ما ذكر لا يعدّ مما ترك إلا قطرة البحر، كما صرّح بنحو ذلك الباحث دكوري فودي في رسالته[4].

سادساً: عقيدته ومذهبه الفقهي

ذكر بعض المترجمين له أنّه كان مالكيّ المذهب، أشعريّ العقيدة، تيجانيّة الطّريقة[5].

وعند الرجوع إلى بعض كتابات الشيخ نجد أنّه كان ملتزما بالكتاب والسّنّة، وأدلّ دليل على ذلك ما نصّه في مقدّمة تفسيره ممّا ذكره بحرفه حيث قال: "فمن رأى في تفسيرنا هذا كلاما لم يظهر

(1) وهو أرجوزة في الأخلاق والتّصوّف.

(2) أو "مشوّشات الطّالحين" وهو كتاب مطبوع.

(3) وهي ثلاثون مسألة، وكان الحوار بينهما باللّغة الوُلُوفِيَّة، فنقله الشيخ إلى العربيّة، وعلّق عليه تعليقاً وافياً.

(4) انظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 26).

(5) ينظر: ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 4).

له وجه تحريره على الكتاب والسنة، فليضرب عنه الذّكر صفحاً إلى ما ليس فيه ذلك، ويعلم أنه من علوم القوم، وقد تقدم أن لهم ألسنة أعجمية في نظر غيرهم، وهي عندهم عربي مبين[1]".

والشيخ ذكر هذا الكلام في معرض بيانه أن الكتاب والسّنة هما الأصل، ثمّ استند قوله هذا إلى قول الشيخ عبد الكريم الجيلي –رحمه الله- في مقدّمة كتابه: "الانسان الكامل" ونقل عنه ما نصّه: "ثم ألتمس من النّاظر في هذا الكتاب-بعد أن أُعلمه أني ما وضعت شيئا فيه إلاّ وهو مؤيد بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ-أنه إذا لاح له شيء من كلامي بخلاف الكتاب والسنة، فليعلم أن ذلك من حيث مفهومه، لا من حيث مرادي الذي وضعت الكتاب لأجله، فليتوقف عن العمل به–مع التسليم–إلى أن يفتح الله عليه بمعرفته ويحصل له شاهد ذلك من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه ﷺ.

وفائدة التسليم هنا وترك الإنكار: ألا يحرم الوصول إلى معرفة ذلك، فإنّ من أنكر شيئا من علمنا هذا حُرِمَ الوصول إليه ما دام منكرًا، ولا سبيل إلى غير ذلك، بل يخشى عليه حرمان الوصول إلى ذلك مطلقا بالإنكار أول وهلة، ولا طريق له إلا الإيمان والتسليم.

قال: واعلم أنّ كلَّ علمٍ لا يؤيده الكتابُ والسنة فهو ضلالة، لا لأجل ما لا تجد أنت له ما يؤيده، فقد يكون العلم في نفسه مؤيدا بالكتاب والسنة، ولكن قلة استعدادك منعك من فهمه، فلن تستطيع أن تتناوله بهمتك من محله، فتظن أنه غير مؤيد بالكتاب والسنة، فالطريق في هذا التسليم، وعدم العمل به من غير إنكار، إلى أن يأخذ الله بيدك إليه اهـ[2]".

سابعاً: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه

إن خير ما يصوّر منْزلة العلّامة أحمد دم، وأثره الإصلاحي، هو آثاره الكثيرة التي خلّفها، وما لقيته من اهتمام الباحثين والدارسين بها في العصور المُتعاقبة.

فقد كان مهتمّا بالقرآن، والحديث وعلومه، والتّوحيد، واللّغة والأدب، وعلم الحساب، لكن أكثر اهتمامه كان في نطاق التفسير وعلومه.

ويُضَمُّ إلى هذا سيرة الشيخ أحمد دم العلميّة وثقافته العالية؛ ذات الوجوه المتعدّدة التي أخرجت هذه الثّمار الوافرة، فكان حافظاً بارعاً، ومفسّراً جهبذاً، وفقيهاً عارفاً، متبحّراً بعلم الفلك والنّجوم والحساب، ولغويّاً متمكّناً من العربيّة؛ وحصل طرفاً صالحا منها في نحوها وصرفها وآدابها، وقد

(1) انظر: أحمد دم، **ضياء النّيّرين الجامع بين علوم الطّائفتين**، النّاشر: مركز الدّولي للدعوة الإسلامية-ديربان- جنوب أفريقيا، الطبعة: الثانية، 1440هـ، صفحة : (5/1)، ذكرها تحت عنوان: الكتاب والسّنّة هما الأصل.

(2) انظر: **المصدر السّابق**، (5-4/1).

تعاطى الشّعر، فنظم اليسير منه، وأورد من شعر غيره جملة كبيرة في تفسيره "ضياء النّيّرين" وغيره من كتبه؛ الأمر الذي أكسبه ثروة لغويّة قويّة جدّاً بحيث يصعب أن نجد في كتاباته لحناً أو غلطاً لغوياً، أو استعمالاً عاميّا، فإذا كان النّادر من ذلك، فإنّه من سهو القلم، أو الذّهول، أو بعض ما يغلط فيه الخواص، وليس ذاك بشيء.

ولا عجب في ذلك فإن منشأه في الوسط العلمي الذي تحدّثنا عنه آنفاً، وما أعطاه الله من عمر مباركٍ مديد جاوز الثّمانين، قضاه في العلم والتعلّم والتأليف والكتابة، من شأنه أن يبلغ صاحبه بتوفيق الله هذه المكانة الرفيعة.

وكان -رحمه الله- من العلماء الذين رسخت أقدامهم في العلم وبلغوا فيه شأواً بعيداً مما دعا الكثير من علماء عصره إلى وصفه بالعلم والحفظ.

ونظراً لما للشيخ أحمد دم من مكانة علمية في نفوس العلماء، وما يتمتع به من سعة العلم وقوة الحفظ، فقد أثنى عليه كثير من علماء عصره ومن جاء بعدهم من العلماء.

قال فيه معاصرُه الشيخ الكبير الحاج مالك سه: "إنّ الذين درسوا هذه المواد وأتمّوا دراستهم لا يقدرون على أن يتجاوزوا ما وصلت إليه، ولا يأتون إلّا بما أتيت به"[1]، ثناه بذلك بعد أن فرغ العلّامة أحمد دم من تأليف كتابه: فاكهة الطّلّاب في معرفة ملحة الإعراب، وأرسله إليه لينظر فيه، وبعد النّظر فيه، قال له هذا الكلام الكبير.

يقول محمد عال بن فتى العلوي[2]:

- على إفريقيا التّفسير دين :: فأدى منه أحمد كلّ دين

وقال عنه الشيخ علي ساغو ابن شيخه عمر ساغو[3]:

- متى انتقب الزّمان نقاب جهل :: بمثل الحاج ينكشف العطاء
- فلا يخفي اتّصافك بالمعالي :: ولا تخفي بنيرها أسماء

(1) انظر: دكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م (ص: 22). في مقابلة له مع صالح جاو أحد أبرز تلاميذ الشيخ.

(2) ينظر: ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 29).

(3) ينظر: **المصدر السّابق**.

- ضياءك مفخر السّوان طرّاً :: وعزّتهم دواماً وازدهاء.

وثناه أيضاً محمد ابن العربي ابن الشيخ محمد الفوتي فأنشد قائلاً[1]:

- لا غرو أن يكون أوّل فتى :: أتى بما أتى به نعم الفتى
- لم يتصدّ أحد لمثل ما :: جاء به من الفحول القدما
- فلو رآه صاحب الجواهر :: هنأه لجوهر الجواهر
- أعني به الطّنطاوي من قد فاق :: وعب من نور الهدى دهاقا.

وقال أحد من ترجم له في لاميته[2]:

- سنغال حقًا لقد أنجبت كوكبة :: من الأكابر جيل بعده جيل
- كلّ له فضله من واهب الفضل :: نظماً ونثراً ما يروي به الكُمَلُ
- وكلّ فنّ أتى فحل به زمناً :: له من المثل ما يأتي به الفحل
- إلّا الذي قد أتى أحمدنا العلم :: به فلا شبه له ولا مثل
- فذاك حقّاً فريد في مضامنه :: كَمّاً وكيفاً فذاك الفذّ والبطل.

ثامناً: وفاته

وبعد هذه الحياة الكريمة العامرة بالعلم من تصنيف وتدريس، والحافلة بخدمة القرآن الكريم، اتفقت المصادر الّتي ترجمت للشيخ العلّامة أحمد دم –رحمه الله- على أنّ وفاته كانت بمدينة سوكون، سنة ألف وتسعمائة وثلاث وسبعين 1973 ميلاديّة، ليلة الاثنين في اليوم العاشر من شهر ديسمبر حوالي السّاعة العاشرة، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة، ودفن هنالك في تلك اللّيلة بجوار مسجده بعد أن صلّى عليه نجله الأكبر وخليفته الأوّل محمّد أحمد دم رحمهما الله[3].

([1]) ينظر: **المصدر السّابق**.

([2]) وهو ماني محمد، ربيب نجل العلّامة أحمد دم وصاحب كتاب: **الماء الزّلال**. انظر: **المصدر السّابق**.

([3]) ينظر: ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، الناشر: المؤلّف 2015/08/10م، (ص: 44). ودكري فودي، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، الناشر: جامعة إفريقيا العالميّة، عام 2014م، (ص: 20).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعفوه تغفر الزلات والخطيئات، وبتوفيقه وتيسيره تقضى الحاجات، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير البريات، وعلى آله وصحبه أولوا البرّ والطاعات، وعلى التابعين وتابعيهم بالحسنات.

أحمده -جلّ في علاه-أن يسّرني بمنّه وإحسانه وتوفيقه إتمام هذا البحث، وكلّي أمل ورجاء في أن أكون قد وفّقتُ في اختيار الموضوع، وسددتُ في تناوله، وعرض مباحثه بما يحقّ الغاية من مثل هذه الأبحاث التّأصيليّة، كما أسأله سبحانه أن يرزقني الإخلاص والتوفيق والسداد.

الدروس المستفادة:

1- إن الاهتمام بتعريف علماء القارة الأفريقية، أمر مهم جدا، ويأتي في مقام الإسهام، أو إضافة جديدة جداً للقارئ العربي الذي قلّ ما يعلم عنهم شيئاً، -علّ وعسى- سيبعث في أوصاله روح الحياة، وتكشف اللثام على حقيقة علماء القارّة وكنههم الذي يجهله كثير من الناس؛ لأنّ كثيراً منهم يسمعون عن خبرهم ولمّا يقفوا على مخبرهم، ولا بكشف عن مخبّآتهم.

2- إن كثرة التردد في طلب العلم؛ قد يكسب للمرء علما كثيراً وتجربة ناجحة، الأمر الذي يحتاج إلى وقفات ووقفات كماؤحدث للشيخ العلامة أحمد ديم سوكون.

3- ضرورة قراءة سِيَر العلماء للوقوف على نماذج من صبرهم وتحملهم على طلب العلم الشرعي، ففيها من المواعظ والعبر الشيء الكثير.

4- إن وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة وهذا ما ظهر في شخصية العلامة أحمد دم وقصته مع أمّه في طلب العلم.

5- إن كثرة المصنفات لا تأتي من فراغ، بل بعد جهد جهيد، وصبر جميل وطويل تأتي وتدل على سعة اطلاع المرء وإلمامه للكتب.

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- **جريدة الشمس السنغالية**، مجلة، (عدد شهر أغسطس، يوم السبت 23أغسطس 2008م.

3- د. عامر صمب **الأدب السنغالي العربي**، د.ط، (الجزائر، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، 1978م).

4- دم أحمد، **عنوان الطّراز في الرّحلة إلى أرض الحجاز** بلا معلومات.

5- فودي دكري، **أساليب البيان في تفسير ضياء النيّرين وأثرها في تأدية المعاني**، رسالة ماجستير، (السودان، جامعة إفريقيا العالميّة، 2014م).

6- ماني محمد الحاج، **الماء الزّلال في تاريخ الشيخ الحاج أحمد دم**، د.ط، (د.م: المؤلّف، 2015/08/10م.